

أدب الرحلة والترحال عند التنيلايين خلال القرنين (12-13هـ / 18-19م)

**Travel literature and nomadism for the Al-Tannilanien
During the two centuries (12-13 AH / 18-19 AD)**

د. عصام مصطفى عقلة

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة

imokleh@sharjah.ac.ae

د. خير الدين يوسف شترة

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة

kchatra@sharjah.ac.ae

تاريخ الإرسال: 2021/10/15 تاريخ القبول: 2021/11/20 تاريخ النشر: 2021/12/30

Abstract:

The Tinilian's journeys as a whole have multiple historical, geographical, political, economic, and social dimensions, which will allow the researcher to discover a set of unknown aspects related to some historical periods, whether, in local history in particular or Maghreb history in general, which were placed in front of them worrying question marks about the vacancy or ambiguity of the information oftentimes, this is due to the absence of sufficient source and knowledge material to study and assimilate it. Among the problems that were addressed in this study; the civilizational role of the Tinilian Palace and its most famous figures who contributed to enriching Journey and travel literature and the approach followed in their blogs. This study assumes that the Tinilian's journeys are not without important historical, geographical, social, and economic benefits and that the people of these journeys did not provide a traditional description of the places they visited, but tried, as much as possible, to provide accurate, more descriptive information in which their scientific and intellectual touch appeared through a number of situations that they have adopted.

After research and investigation, the research reached several results, including that the Tinilian's journeys, although the historical contexts, the Sufi reference, the travel routes, and the method of approach differed, their authors all belong to the scholarly elite in the country of Touat, and they issue from a single cultural reference, and their travels all belong to literature as a destination, a subject, and a lexicon, and they all shared in the chronological tracking of the journey's path, its stations, the obstacles it encountered, and the various activities that distinguished it, especially religious activities, and scientific activities related to the meeting, studying, and conversing with scholars, and building bridges of communication with them.

One of the social dimensions of Tinilian's journeys that have crossed local boundaries in description and history to some Arab countries can be taken advantage of; it referred to the many customs, traditions, and norms of the time in some villages, towns, and cities, whether submerged or known in communities on their itineraries.

Keywords: Touat, Tinilians, journeys, Travel literature, Scholars of Touat, Scientific journeys, Pilgrimage journeys

الملخص:

إن الرحلات التينلانية بالجملة تكتسي أبعاداً متعددة تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية وهو ما سيسمح للمطلع عليها من اكتشاف مجموعة من الجوانب المجهولة المرتبطة ببعض الفترات التاريخية سواءً في التاريخ المحلي على وجه التخصص أو التاريخ المغاربي بصفة عامة والتي كانت توضع أمامها علامات استفهام مقلقة بشغور المعلومة أو غموضها في كثير من الأحيان وهذا نظراً لغياب المادة المصدرية والمعرفية الكافية لدراستها واستيعابها، ومن الإشكاليات التي تم معالجتها في هذه الدراسة؛ الدور الحضاري لقصر تينلان وأشهر أعلامه الذين ساهموا في إثراء أدب الرحلة والترحال، والمنهج المتبع في مدوناتهم، وتفترض هذه الدراسة

أن الرحلات التتيلانية لا تخلو من فوائد تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية هامة، وأن أصحاب هذه الرحلات لم يكونوا يُقدمون وصفاً تقليدياً للمناطق التي زاروها وإنما حاولوا على قدر الإمكان تقديم معلومات دقيقة، أكثر توصيفية ظهرت فيها لمستهم العلمية والفكرية من خلال عدد من المواقف التي تنبؤها.

وبعد البحث والتقصي توصل البحث إلى عدة نتائج منها: أن الرحلات التتيلانية وإن اختلفت السياقات التاريخية والمرجعية الصوفية ومسالك السفر وطريقة تناول، فإن مؤلفيها ينتمون جميعاً إلى النخبة العاملة في بلاد توات، ويصدرون عن مرجعية ثقافية واحدة، كما أن رحلاتهم كانت تنتمي كلها إلى الأدب مقصداً وموضوعاً ومعجماً، وتشترك كلها في التتبع الزمني لمسار الرحلة وذكر محطاتها والعوائق التي اعترضتها والأنشطة المختلفة التي ميزتها، وخاصة منها الأنشطة الدينية، والأنشطة العلمية المتصلة بلقاء العلماء ومذاكرتهم ومحاورتهم ومد جسور التواصل معهم.

ومن الأبعاد الاجتماعية للرحلات التتيلانية تجاوزها للحدود المحلية في الوصف والتأريخ إلى بعض الأقطار العربية يمكن الاستفادة منها؛ وذلك ألما أشارت إلى العديد من العادات والتقاليد والأعراف السائدة حينها في بعض القرى والمدن والمداشر سواء المغمورة أو المعلومة في المجتمعات التي كانت في مسار رحلاتهم.

الكلمات المفتاحية: توات؛ تتيلان؛ الرحلات؛ أدب الرحلة؛ أعلام توات؛ الرحلات العلمية؛ الرحلات الحجية؛ المخطوطات؛ الحياة الأدبية في الجزائر؛ الحياة الفكرية في توات.

المقدمة:

-أهمية البحث ودوافعه: أنتجت الحضارة العربية الإسلامية علومًا جمّة ومعارف واسعة، لاسيما في ميدان الجغرافية والرحلات، التي غطّت شعوبًا وألما دانت بالإسلام أو خضعت لسلطانها أو وصلها قبس من الحضارة والثقافة على أيدي التجار والدعاة العرب والمسلمين، وقد أنتجت المدونة الجغرافية العربية، مئات المؤلفات القيمة المتنوعة في المنهج والأسلوب، مع وحدة

الرؤية العربية الإسلامية وطبيعة المنهج الوصفي السائد. ومثل الحج أهم دافع للرحلة من إفريقيا إلى آسيا، وكان مناسبة كبرى للصلات الدينية والعلمية والحضارية بين العلماء من أقصى الصحراء الكبرى إلى الجزيرة العربية.

ورغم ثراء التراث الفكري الذي عرفه الإقليم التواتي عامة، والتنبلياني على الخصوص؛ إلا أن الدراسات التاريخية في الغالب الأعم وفي محاولتها للتأريخ لهذا لإقليم بقيت خجولة بعض الشيء مقارنة مع أقاليم أخرى أقل إسهاماً حضارياً وحمولة فكرية، إلى حين بروز المخطوطات الخاصة بالرحلات التواتية التي تميزت بخصائص علمية ومناهج قديمة، فأضحى من الضروري على الباحثين المعاصرين الإلمام والاهتمام بها، فهي لا تقل أهمية عن الكتب التاريخية بل حتى أنها تُعد مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ المحلي باعتبارها من أوفر المصادر وأوثقها بل وأشملها فيما يتعلق بتاريخ المنطقة من جميع النواحي، ذلك أن مصنف هذا النوع من المصادر تميزوا بمنهجية صارمة في تسجيل شهاداتهم عبر مسارهم الخاص بهم، إضافة إلى العفوية في التعليق والصدقية في الوصف، فوصفوا البلاد ومعالمها والعباد وعاداتهم، كما أنهم تطرقوا في كثير من الأحيان إلى إيراد عدد من التعريفات والتراجم وقد تكون هذه التعاريف والتراجم مفقودة ومصنفات نفيسة يطلعون عليها خلال مسارهم.

وبناءً عليه فإن الرحلات التنبليانية بالجمل تكثسي أبعاداً متعددة تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية وهو ما سيسمح للمطلع عليها من اكتشاف مجموعة من الجوانب المجهولة المرتبطة ببعض الفترات التاريخية سواء في التاريخ المحلي على وجه التخصيص أو التاريخ المغاربي بصفة عامة والتي كانت توضع أمامها علامات استفهام مقلقة بشغور المعلومة أو غموضها في كثير من الأحيان وهذا نظراً لغياب المادة المصدرية والمعرفية الكافية لدراستها واستيعابها، ثم إن نصوص هذه الرحلات ستتيح للمطلع عليها وفق سياق منهجي صارم وحمولة علمية معتبرة القدرة على تشكيل رؤية جديدة تسمح بالاستنباط والاستنتاج،

وهو ما يُعد وبحق فرصة مواتية لإعادة صياغة بعض المعطيات والمكتسبات التاريخية بشكل أكثر وضوحاً وموائية.

-المشكلة البحثية: تعددت التساؤلات المطروحة وتشابكت فيما بينها عند تناول موضوع (أدب الرحلة والترحال عند التتيلانيين)، ولعل من أهمها: ما هو مفهوم الرحلة في تاريخ الحضارة الإسلامية؟ وما مدلولاته خلال القرن الثامن عشر ميلادي؟ وما هي أشهر الرحلات التواتية خلال القرن 12هـ/18م؟ وللتعمق في الإشكالية الرئيسة للبحث كان لزاما التمهيد لها بالتساؤل عن ظروف تأسيس قصر تنيلان، وزاويته التي لا زالت معمورة إلى الآن، وما الدور الحضاري لهذا القصر في تاريخ حواضر أفريقيا جنوب الصحراء؟ ثم من هم التتيلانيين؟ وكيف تجلت الحياة العلمية والدينية لقصر تنيلان؟ وما هي أشهر الرحلات التتيلانية خلال القرنين (12-13هـ - (18-19م؟ وما هو منهج كتابة الرحلة عند التتيلانيين؟ وما خصائصها؟

-منهج البحث: بالنظر إلى موضوع الدراسة فقد تم توظيف أكثر من منهج بحثي ضمن الإطار العام لمناهج البحث التاريخية، منها المنهج التاريخي لسرد المعلومات التاريخية المتعلقة بالدراسة، والمنهج الوصفي لعرض ووصف تلك الرحلات التي اتخذناها كنموذج للتدليل على الفرضية التي تبنيناها ولكن في سياقها التاريخي، أما المنهج الاستدلالي فقد تمت الاستفادة منه لإثبات ما كان وراء الدراسة من دوافع وإشكاليات.

وفي ختام هذه الدراسة استنتجنا أن الرحلات التتيلانية لا تخلو من فوائد تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية هامة، وأن أصحاب هذه الرحلات لم يكونوا يُقدمون وصفاً تقليدياً للمناطق التي زاروها وإنما حاولوا على قدر الإمكان تقديم معلومات دقيقة، أكثر توصيفية ظهرت فيها لمستهم العلمية والفكرية من خلال عدد من المواقف التي تبنوها.

1. أدب الرحلة خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

يُعتبر أدب الرحلات ⁽¹⁾ من الفنون السردية القديمة، ولعل البواكير الأولى لنشأة هذا الفن تعود إلى القرن الثاني الميلادي على يد الرحّالة (يوزانائيس-Usanaise) حيث دوّن رحلته الشهيرة والموسومة بعنوان (جولة في بلاد الإغريق-A tour of the greeks)، كما «يعتبر الثّقاد أدب الرحلات من أصعب الفنون، ومردّد ذلك أن أدب الرحلات هو ملتقى العديد من الخطابات» ⁽²⁾ ومن بين المكاسب الهامة التي يجدها الراحل هي؛ «التعرف على الأوطان التي يزورها، واحتكاكه برجال العلم والعلماء الذين يمثلون تلك الأوطان» ⁽³⁾، وقد ذكر ابن خلدون في (مقدمته) أن: «الرحلة في طلب ولقاء الأساتذة مزيدة كمال في التعليم، [ويضيف قائلاً]. فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ، ومباشرة الرحال» ⁽⁴⁾.

إن قراءة متن الرحلة العربية الإسلامية تكشف لنا عن وجود أصناف وأنواع من الرحلات في حقيقة الأمر. ونحن نذكر أن أحد الباحثين الناهجين، ممن كان لهم اشتغال بالرحلة في الثقافة العربية الإسلامية وإسهام في نفص الغبار عن بعض النصوص الهامة التي تكاد تنسى، يحصي خمس عشرة صنفاً من أصناف الرحلة ⁽⁵⁾، فقد تكون الرحلة في الإسلام بهدف استكمال المعرفة أو تنقيحها فهي رحلة علمية، وقد تكون الرحلة متصلة بالحياة الروحية، وقد تكون خلواً من الأمر معاً فهي تستهدف المتعة والسياحة، فهما الوجهة والمقصد. كما أنها يمكن أن تكون بهدف الحج وطلب الركن الخامس من أركان الإسلام فهي رحلة حجية، أو تكون بهدف القيام بسفارة أو المشاركة فيها كاتباً مدوناً أو مترجماً عن السفير فهي رحلة سفارية. ولعلها تكون تُنفّذ من هذا كله فهي رحلة عامة تجمع بين السياحة والمتعة والحج وطلب العلم وملاقة أهل الزهد والورع.

وبذلك تضم الرحلة المدونة مجموعة من الأنواع وتختلف هذه الأنواع حسب التصنيف العامة للرحلة. فقد تكون حسب الأسباب والهدف، منها على سبيل المثال الحجازية والسياحية والرسمية⁽⁶⁾ أو حسب اللغة التي كتبت بها (نثرية وشعرية) وتتضمن النثرية فروعاً عدة منها الديوانية والمقامية⁽⁷⁾ وأخيراً قد تكون حسب المناطق الجغرافية (داخلية وخارجية) وهذا التقسيم اعتمد عليه الأستاذ "عمر بن قينة" في تقسيم الرحلات الجزائرية⁽⁸⁾. ويمكن للرحلة الواحدة أن يصدق عليها جميع هذه الأنواع، وكمثال على ذلك رحلات التتيلانيين، كما أن هذه التقسيمات ليست محدودة بل توجد هناك تقسيمات أخرى وتفرعات منبثقة عن هذه التقسيمات، والعوامل الدافعة لمثل هذه الرحلات كثيرة

وفنّ الرحلة في الأدب العربي قطع مسيرة طويلة، منذ انطلاقة الأولى على يد أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي بكتابه (البلدان)⁽⁹⁾، ثم يأتي البيروني⁽¹⁰⁾ في فترة زحرت فيها الرحلة بإبداع وتطور كحركة باتت ذات استقلالية كنوع أدبي، وسرعان ما يعم هذا اللون منطقة الغرب الإسلامي فيستلم المشعل الإدريسي بكتابه المتميز المعروف: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)⁽¹¹⁾ لغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية، وجاءت بعده شخصية أخرى معتبرة وهو ابن جبير بعمله المعروف: (رحلة ابن جبير)⁽¹²⁾، وقد خطت الرحلة بعده خطوات متقدمة، خصوصاً (رحلة ابن بطوطة)⁽¹³⁾ الذي عبر أوطاناً وقارات؛ فاحتلت رحلته أهمية كبيرة باتساع رقعتها أولاً وبمستواها الأدبي ثانياً، وبما حظيت به من اهتمام عالمي في النهاية، وجاء بعد ابن بطوطة؛ الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم: (Léon L'Africain) ورحلته: (وصف إفريقيا) (Description de L'Afrique)⁽¹⁴⁾ التي أخذت أهميتها من شخصية صاحبها وحياته التي عرفت اضطرابات كثيرة خاصة بعد أسرته، لذلك تعتبر رحلته ذات أهمية بموضوعها وبالظروف التي كتبت فيها.

وبعد ركود طويل خصوصاً في القرن العاشر الهجري (16م)، عادت الرحلة للانتعاش في القرنين (11- 12 هـ) ، فاستأنفت منطقة المغرب العربي الإسلامي دورها في فن الرحلة بأعلام مثل: أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعيشاشي في رحلته المعنونة : (ماء الموائد) المعروفة بـ: (الرحلة العياشية)⁽¹⁵⁾، «بحيث يعتبر نموذجاً لجميع مؤلفي تلك الفترة التي لم يطرأ فيها أي تقدم في هذا الميدان، وينتهي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (18و19) برحلات ابن حمادوش⁽¹⁶⁾ والورتيلاني⁽¹⁷⁾»⁽¹⁸⁾، وابن عمار، وأبي راس المعسكري⁽¹⁹⁾، وأبي حفص التتيلاني، وعبد الرحمن بن إدريس التتيلاني وغيرهم.

2. قصر تتيلان ودوره الحضاري في التاريخ (أعلام وأمجاد)

يعتبر الدارسون والمهتمون بتاريخ المنطقة أن القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي هو عصر الذروة في الإسهام الحضاري والثقافي لإقليم توات ككل، وذلك بالنظر للعدد الهائل من العلماء الأعلام الذين نبغوا فيه⁽²⁰⁾، ومن العوامل التي ساهمت في هذا النهوض الفكري والثقافي للمجتمع التواتي خلال هذه الفترة هو توافد العلماء من شتى الأصقاع على المنطقة التواتية خلال القرنين (10- 11 م) ، وكان من أشهرهم المفتي عبد الله أبي بكر العصنوني (910هـ / 1508م)، والشيخ عبد الكريم المغيلي (909هـ / 1504م)، والشيخ أحمد بن الشيخ محمد الكنتي (ت 1063 / 1653م)⁽²¹⁾، كما أن علاقات التأثير والتأثير بين شعوب المنطقة - خاصة بين حواضر فاس وتلمسان وتونس والجزائر، وقسنطينة، وحتى بين مصر والحجاز وبين حاضرة توات-⁽²²⁾ كان لها الأثر البارز في صناعة العصر الثقافي الذهبي للمنطقة، ويضاف إلى ما سبق أثر تلك الرحلات العلمية الناجحة التي قام بها العديد من العلماء والطلاب التواتيين إلى خارج الإقليم من أجل التعلم والتفقه.

وأول هذه الرحلات المدونة - وعلى الأشهر - رحلة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التي وثقتها العديد من المصادر التاريخية المحلية، ولعل من أهمها كتاب (الطرائف والتلائد

في مناقب الوالدة والوالد⁽²³⁾ وهي: «رحلة حجازية قام بها الشيخ قصد تأدية فريضة الحج، وذلك مع تلميذه سيدي عمر الشيخ الكنتي»⁽²⁴⁾، ثم تلتها رحلة عبد الكريم بن أحمد التمنيطي⁽²⁵⁾ الموسومة بـ (تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز)، كما أن لذات الشيخ رحلة علمية فهرسية عدّد فيها شيوخه الذين درس على أيديهم، ثم ذيلها بمجموعة كبيرة من الأعلام المغاربة، وبعد هاتين الرحلتين تتالت الرحلات التواتية بعد ذلك، وكان من أشهرها في الإطار الزمني لهذه الدراسة هي رحلة عبد القادر بن عمر التتيلاني، «وهي رحلة نثرية علمية تُعرف عند أهل الاختصاص "بالفهرسة"، ترجم فيها صاحبها لأهم الذين أخذ عنهم العلم وتفقه على أيديهم، كما فصلّ فيها لأهم العلوم التي درسها خلال هذا العصر»⁽²⁶⁾، ثم تلتها رحلات الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتيلاني الذي يُعد الرائد الأول في تدوين الرحلة التواتية، وذلك بناءً على ما تركه من رحلات مختلفة الأغراض والأهداف، منها الرحلة الفهرسية التي جمع فيها رحلاته العلمية الثلاثة وهي؛ الأولى التي كانت إلى بلاد التكرور، والثانية إلى أروان، والثالثة إلى سجلماسة وفاس، بالإضافة إلى رحلته الحجازية.

كما أن للشيخ حسب بعض الروايات الشفوية رحلتين حجازيتين أخريتين لم يتسنّ لنا الحصول عليهما، وقد أورد عبد الله بن أحمد أنه سافر مع الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتيلاني مرتين إلى الحج ممّا يؤكد هذه الرواية الشفوية. ومن أعلام توات في باب الرحلة المدوّنة أيضاً الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب⁽²⁷⁾: الذي قام «برحلة داخلية نثرية، تُعرف عند المختصين بالرحلة الزيارية، تقع هذه الرحلة في 111 ورقة وبخط رقيق»⁽²⁸⁾، وشملت معظم القصور والمدن التواتية المهمة.. وغيرها من المناطق، وكان المقصد الأول لها زيارة قبر الوالد وشيخه»⁽²⁹⁾، ثم تلتها رحلة مولاي أحمد بن هاشم العموري⁽³⁰⁾ التي تكتسي بعداً تاريخياً مهماً في تدوين تاريخ المنطقة خاصة من ناحية الأنساب والقبائل وتاريخ قدومها ومكان تواجدها، ونظراً لأهميتها التاريخية فقد اهتم بها المؤرخون الفرنسيون ومن بينهم المؤرخ "مارتن" في كتابه

(أربعة قرون من التاريخ المغربي) [quatre siècles d'histoire marocain]
(1904_1504)[⁽³¹⁾ وللعلم فإن نسخته الأصلية لا زالت في خزانة مولاي علي سليمان.

بالإضافة إلى ماسبق ذكره من رحلات تواتية، يمكن إضافة رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني التي تشبه إلى حد كبير فن كتابة المذكرات واليوميات، وأيضاً رحلة عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني⁽³²⁾ الذي يُعدُّ مضمونها أهم مصدر عربي في تاريخ الجزائر العثمانية مطلع القرن التاسع عشر،⁽³³⁾ كما تُعدُّ مصدراً مهماً في معرفة كل خبايا الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر عام 1816م التي كانت السبب في تدهور الأسطول الجزائري⁽³⁴⁾، ومن الرحلات الحجازية خلال هذه الفترة رحلة لمؤلف مجهول التي قام بنسخها "عبد القادر بن عمر المهداوي"، ثم تلتها زمنياً الرحلة الشوقية⁽³⁵⁾، وهي رحلة حجازية دوّنها ولد سيد الحاج بناءً على ما وصف له من أخبار عن الطريق والبقاع والمنازل الموجودة في طريق الحج.....

ويبدو أن المراكز العلمية والثقافية (المعاهد والزوايا) التي بدأت في التأسيس بالإقليم منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، شكّلت هي الأخرى مركز إشعاع حضاري وثقافي أضحى يقصده العلماء والشيوخ كما الطلاب من كل الأصقاع وخصوصاً من مناطق أفريقيا جنوب الصحراء، فقد كانت الزاوية البكرية التي تأسست سنة (1117هـ / 1705م) من طرف الشيخ البكري بن عبد الكريم⁽³⁶⁾ من أكثر المراكز تخرجاً للطلاب، وتصديراً للعلم والمعرفة، ومن أشهر ما أنجبت من الطلاب: «الشيخ عبد الحق بن عبد الكريم قاضي توات، والشيخ الحسن بن سعيد البكري، والشيخ محمد بن عبد الرحمان»⁽³⁷⁾، والأمر نفسه ينسحب على زاوية أوفروت التي تأسست سنة (1008هـ / 1599م)، من طرف الشيخ سيدي عمر بن صالح الوجرتي⁽³⁸⁾، وكان قد زارها أبو سالم العياشي سنة (1072هـ / 1661م) أثناء رحلته إلى الحجاز، والزاوية الكنتية (الرقادية) «التي أسسها الشيخ أحمد الرقاد بن محمد الرقاد الكنتي،

وزاوية المهديّة المؤسسة سنة (1119هـ / 1707م)⁽³⁹⁾، بقصر مهديّة بتيمة من طرف الشيخ عمر بن عبد الرحمان بن يوسف التتيلاني⁽⁴⁰⁾.

1.2 - من هم التتيلانيون؟ في كثير من وثائق علماء قصر تتيان⁽⁴¹⁾، ما يثبت أن نسب التتيلانيين يمتد إلى بني أمية من قرش، وذلك وفقاً للشجرة التي وضعها الشيخ عمر عبد العزيز صاحب (قطف الزهرات)⁽⁴²⁾. وهذه السلسلة المشجرة منقولة من مكتبة خاصة بأحفاد الشيخ أحمد بن يوسف مؤسس تتيان، وهذا هو الحق والمضبوط في وثائقهم وفي مؤلفاتهم، حيث أقرّ لهم النسب التالي: «عبد العزيز بن علي بن محمد عبد العزيز بن محمد فتحاً ابن محمد بن عمر صاحب زاوية مهديّة،... ابن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التتيلاني من آل سيدنا عثمان بن عفان»⁽⁴³⁾، وفي رواية أخرى «عُثر على وثيقة بخط بعض من العلماء منهم الشيخ محمد عبد الكريم بن محمد التواتي، والتي تذهب إلى افتراض أن نسبهم يرجع إلى السيد الحسن بن علي، وصحّح ذلك الشيخ محمد عبد الحق بن القاضي محمد عبد الكريم، والسادة محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي، ومحمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي، ومحمد بن أحمد الحبيب البلبالي وغيرهم كما ذكر الشيخ باي بلعالم»⁽⁴⁴⁾، وأكد هذه الرواية عالم توات الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنيطي أحد شيوخ أحمد بن يوسف مؤسس "زاوية تتيان"، حيث قال: «أن نسبهم معروف وصنوه أحمد بن يوسف فهو يرجع إلى السيد الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ)»⁽⁴⁵⁾، غير أن الروايات الشفوية والمصادر المحلية التي بين أيدينا تُجمع على أن نسبهم يرجع إلى سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، كما ذكر صاحب كتاب (قطف الزهرات) في التعريف بنفسه على ما ذكرنا سلفاً.

وجاءت هجرة جدّ التتيلانيين الأول الذي يُدعى "بأ ملوك". ضمن الهجرات العربية التي نزحت لإقليم توات⁽⁴⁶⁾، والمصدر المكتوب الوحيد عن هذه الرواية انفرد بها المؤرخ الفرنسي مارتن "Martin"⁽⁴⁷⁾، الذي كرر ما جاء في مخطوط إخباري محلي للواجدي⁽⁴⁸⁾،

ويمكن «أن نستشف من نص الواحدي بعض الإشارات عن نسب مترجمنا وهي: أصل باملوك: الذي عُرف بأنه أموي، ثم استقراره قرب "تاهتايت" ممّا يشير إلى أن تميمون لم تكن موجودة بعد تحت هذا الاسم، وأخيراً معرفة الجماعة التي تنحدر من باملوك، ونسل باملوك تفرّقوا في فضاء واسع من غرب قورارة (تالمين وأجدير) إلى تيديكلت مروراً بتوات أي منطقة تنيلان، بودا، أولاد الحاج بيوفادي»⁽⁴⁹⁾.

إن الشيء الأساسي في هذه الرواية التي نرجح صحتها هو التعرّف على باملوك وأسباب اختياره قورارة، وصحيح أن باملوك قدّم على أنه فاراً يبحث عن ملجأ، وأن هذه الرواية تتفق مع ما سبقها بخصوص سلالة باملوك، وأن الجماعة التي ذكرتها الرواية الثانية هي نفسها المذكورة في نص الواحدي، ونلاحظ أن لقب المرابطين⁽⁵⁰⁾ الذي مُنح لهذه الجماعات، يحيل إلى وضعية الجد الأول الذي ينحدر من ذرية سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)⁽⁵¹⁾، وبعد مجيء باملوك إلى منطقة توات تفرعت ذريته بهذا الإقليم إلى عدة قبائل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (أبناء الشيخ سيدي الحاج بلقاسم الملقّين بأولاد بابا حمو، وبقصر أديين وأجنيين بأولاد سيدي أحمد عبد العزيز، وآغم عبد الصمد الملقّين بأولاد بوشامية، إخوانهم أولاد سيدي يدّا بقصر مساهل، وسيدي أحمد بعريان الرأس بالأرض التي تسمى بإفلان.....»⁽⁵²⁾

أما عن تسمية تنيلان فهي على الأشهر ذات أصل أمازيغي مركب من كلمتين: (تين) وتعني هذه، و(يلان) وتعني الموجودة، وعليه فالمقصود بالتسمية (هي موجودة). بمعنى أن الأرض مملوكة ومكتسبة، والظاهر أن تسمية الأقطار بهذا المعنى كانت شائعة في هذا القطر على غرار ما فعلت العائلة البلبلالية النازحة من جهة تندوف عندما اشترت أرض السيدة (حدية) الواقعة غرب أدرار الحالية، حيث أثر الإخوة الخمسة (الحاج أحمد، والحاج أبو القاسم، والحاج علي، وعبد الله الملقب بحم، والحاج عبد الرحمن) أن يطلقوا على محل إقامتهم

المكتسب حديثاً بمملوكة، ثم حُرِّف اللفظ بعد كثرة الاستهلاك اللفظي له مع تباين لکنات الوافدين عليها والعابرين حولها (فهي تفصل تمنطيط عن بودة الشهيرتين في الكتب التراثية) لتصبح على ما هي عليه الآن (ملوكة).

وهناك وثيقة يحوزها الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن نقلها من (كتاب الإنذار إلى أولاد الأبرار) للشيخ أحمد بن يوسف بن محمد، تُبين تاريخ تأسيس قصر تنيان من طرف الشيخ أحمد بن يوسف يقول في بعضها: «ما صورت كيلته (ذرعته) من ديارنا بأولاد أونقال برزق الله الواسع سبعة آلاف ومائتين قامة، وفي كل سدس ألف ومائتان [إلى أن قال]... وصلنا بحول الله وقوته لديارنا بأرض الله الواسعة (تنيان) يوم الأربعاء تسعة أيام من رمضان 1054هـ»⁽⁵³⁾، وهو الرأي نفسه الذي يتبناه الشيخ عمر عبد العزيز المهداوي في كتابه (قطف الزهرات)⁽⁵⁴⁾، وأورد عبد القادر بن عمر المهداوي في كتابه «الدرة الفاخرة»: أن سبب انتقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف إليها من بلده الأصلي أولاد أونقال إلى تنيان هو تعرضه لمضايقات من أخواله فاعتزلهم ورحل إلى ناحية تنيان خلال شهر رمضان من عام 1054هـ/1645م، وأسس بها زاويته الجديدة في هذا الموضع، «فبنى جامعها وحفر فقايرها وعمر قصرها وبساتينها وجعل كل ذلك صدقة»⁽⁵⁵⁾.

عندما رحل أحمد بن يوسف إلى أرض تنيان، كانت أرضاً جُرْزاً لا ماء فيها ولا نبات، فأول شيء فعله هو حفر الفقارة التي بواسطتها يتم استغلال المياه الجوفية، ولذلك يقوم اقتصاد قصر تنيان على الزراعة وخدمة الأرض، وباعتبار أن القصر أسس كزاوية للإطعام في سبيل الله، وقد ورد في وثيقة حبوس تنيان ما يفيد بذلك: «وبنى فيها ما بني وغرس فيها ما غرس وسلك إليها الماء بالخدمة وإرادة رب العالمين، لينتفع بذلك هو وأولاده، وإن شاء الله يطعم منها بحول الله وقوته الجائع ويروى منها العطشان في سبيل الله لا جزاء ولا شكوراً»⁽⁵⁶⁾،

وأمدّ أحمد بن يوسف (مؤسس القصر) القصر بكل أسباب التطور والازدهار، فاهتم بتوفير الماء عن طريق بناء الفقارة التي سميت «بفقارة الزاوية»⁽⁵⁷⁾، والتي كانت المورد الرئيس للقصر.

وبعد تأسيس فقارة الزاوية من قبل الشيخ المؤسس أحمد بن يوسف؛ استكمل أبناءه الفقاقير الأخرى مثل فقارة تَرْحُمُون، وفقارة بغداد، وفقارة السيخة، وهذا الأمر يدلُّ على اتساع مساحة القصر وزيادة عدد سكانه، بالإضافة إلى ازدهار الزراعة فيه ممَّا جعل سكان القصر يعملون هم أيضاً على حفر الفقاقير للتزوّد بالماء، وحالياً للقصر قصبتين الأولى قصبة (سيدي منصور) التي لم يبقَ منها إلا السور الخارجي وأحد الأبراج الأربعة وبداخلها بقايا جدران المنازل والأزقة والرحبات و«شكلها العام مربعة ومبنية فوق مكان عالٍ تحيط بها البساتين، أما القصبة الأخرى فتسمى قصبة "سيدي الحاج" لازالت واضحة المعالم ومحفوظة على شكلها وهي مربعة الشكل، ذات أبراج أربعة بنيت على سطح مستوٍ، تحيط بها البساتين بها مدخل واحد، وبداخلها أزقة ضيقة تُفضي إلى المنازل ولازال بعض السكان يسكنون بها، ويستغلون أجزاء منها في تربية الماشية»⁽⁵⁸⁾.

2-2 الزاوية التتيلانية وبداية التأسيس لنهضة علمية ودينية: إن مؤسس زاوية تتيلان

هو نفسه مؤسس المدينة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الوانقالي، الذي ولد بأولاد ونقال⁽⁵⁹⁾ سنة 1002هـ/1593م⁽⁶⁰⁾، وأخذ العلم عن عالم توات الشيخ عبد الكريم بن أحمد بتمنيط، والوثيقة السابقة الذكر التي تحدثت عن نسب التتيلانيين؛ تُؤرِّخ أيضاً لتأسيس الزاوية التتيلانية حيث ورد فيها التحديد الدقيق لتاريخ تأسيس الزاوية، وجاء فيها: «أن الشيخ اعتزل عن بلده وخرج إلى أرض جرداء، خارجة من البلاد والعمران، على الطريق من بلد تتيلان، التي منها السبيل إلى بلد تيمي إلى جبل بغيول طويلاً ومن فقارة أهل تتيلان إلى حدود فقارة أجدلاون»⁽⁶¹⁾، وتواصل الوثيقة الحديث عن كيفية إعمار الشيخ للزاوية، حيث تقول: «أنه أجرى لها المياه وأحياها بعدما كانت مواتاً وسمّاها (رزق الله الواسع بالنبي الشافع)»⁽⁶²⁾،

وليشفع بذلك هو وأولاده ولمن شاء الله ويطعم منها بحول الله وقوته الجائع ويسقي منها العطشان في سبيل الله لا جزاء ولا شكوراً، وبذلك أصبحت زاوية إطعام يأوي إليها عابري السبيل، حيث جاء في وثيقة حبوس تنيلان السابقة الذكر ما يلي: «وأن الأرض المذكورة وماؤها محرر من جميع الوظائف وصنوف المغارم وضروب اللوازم من سلطان وقائد والعرب والعجم وإنما الله تعالى والدار الآخرة»⁽⁶³⁾، وفي وسط رجب من عام 1068هـ، فرغ من بناء الزاوية ورحل إليها هو وأولاده وعمّرها وأصبحت قصراً من القصور التواتية.

وعن تأسيس الزاوية جاء في إحدى الوثائق أن السلطان المغربي أقطع له تلك الأرض بحسب ما ورد في وثيقة التحبّيس: «اقتطعنا له جميع الأرض البيضاء الموات المعروفة بكوسام المحدودة شرقاً بدوائر فقاقيرها وغرباً ببجبال، وجوفاً بمنتهى عمارة أهل بوزان»⁽⁶⁴⁾، وجاء في وثيقة أخرى ما يلي: «هذا كتاب حبس عقده الفقيه أبو حفص سيد عمر بن الحاج عبد الرحمان التنيلاي فيما على ملكه بالبلد ابتدعه، غربي أولاد أبي حفص من قرى تيمى المسمى "بالمهدية"، ونجد في هذه الوثيقة أن عمر المهداوي ترك أمر الزاوية من بعده لولده الأكبر حيث قال: «...جعل ذلك في يد ولده السيد الحاج عبد القادر ليحوزه ويصرف غلته على من حبست عليه وجعل له أن يأخذ من غلته ما يكفيه بالمعروف هو وعياله من طعام ولباس وأدام وأن يطعم صديقاً له وضيئفاً بالمعروف غير مكتسب من ذلك مالا، موثقاً له في ذلك بتقوى الله في السر والعلانية وجعل له أن يبيع من ذلك ما ظهر له يبعه ويبدل بثمنه غيره ممّا هو أولى وأصلح، وكذا تعوضه بما هو أعود نفعاً وأعون على عمارة البلد المذكور»⁽⁶⁵⁾.

لقد عرفت الزاوية التنيلاية أزهى عصورها وذروة عطائها في عهد مشيخة الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنيلاي الذي أعطى نفساً جديداً للزاوية، حيث تصدر للتدريس بها، وقصده لأجل ذلك طلبة العلم من كل أصقاع توات، بعد عودته من جامع القرويين بفاس، ونظراً لغزارة علمه وقوة حجته ولته الجماعة التواتية خطة القضاء رغم عدم شغور منصب

القاضي في تمطيط، وتخرّج على يديه الكثير من العلماء الذين أثّروا الساحة العلمية في توات بعلمهم، ومن أشهرهم: الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري (ت1160هـ/1747م)، والشيخ سيدي عمر بن المصطفى الرقادي (ت1157هـ/1744م).

إن هذا الحضور العلمي انعكس على الوضع العام داخل الزاوية، حيث سادها « جو علمي تطغى عليه المناقشات والمراجعات كتلك التي كانت تجمع بين الشيخ عمر بن عبد القادر والشيخ عبد الرحمن الجنتوري »⁽⁶⁶⁾، وما يمكن أن نلاحظه من خلال ما سبق أن ما قامت به هذه الزاوية يعتبر تجديداً حقيقياً للحركة العلمية والثقافية بالإقليم بعد مرحلة الضعف والفتور التي مرت بها حاضرة تمطيط، فقد حملت الزاوية التنيلاية على عاتقها إعادة إحياء الحركة العلمية بتوات بعد انكفائها في نهاية القرن الحادي عشر الهجري (11هـ)، وبذلك اختطفت الأضواء، فتخرّج منها العلماء والأعلام وأهل البر والإحسان، و«انطلقت العائلة في نشر العلم فأنشأت الزوايا والمدارس ومنها: زاوية مهديّة التي أسسها الشيخ عمر بن عبد الرحمن المهداوي، وزاوية الشيخ أبو الأنوار الذي أنشأ زاويته بتديكلت بأولف وتسمى زاوية مولاي هيبة، وزاوية أخرى بأرض التكرور»⁽⁶⁷⁾.

إن الحديث عن الحركة العلمية في توات الكبرى على العموم، وعن تنيلان بالخصوص⁽⁶⁸⁾ في ظل ظروف الانحطاط التي كانت سائدة في العالم الإسلامي والجزائر حينها (القرن 18م)، يدفعنا إلى توضيح أن المقصود بالحركة العلمية خلال هذه الفترة أنها كانت محصورة في الجوانب الدينية دون العقلية من تقنيات وما شابه ذلك، وفي هذا يقول المرحوم أبو القاسم سعد الله: « إن التخلف الذي عرفته الجزائر خلال الفترة (القرن الخامس عشر 15م) إلى القرن الثامن عشر (18م) لم تبتدعه وإنما هو حال العالم الإسلامي. وإن ما كان شائعاً خلال هذه الفترة هو علوم الدين والتصوف، أما العلوم العقلية وإذا ما دُرست فإن دراستها تعبدية فردية، أو لأنها تساعد على فهم العلوم الأخرى فقط »⁽⁶⁹⁾.

3. أشهر الرحلات التتيلانية في القرنين 18-19م

بالنظر إلى المراحل المعتمدة تاريخياً (تدويناً وتأليفاً) في تاريخ المنطقة التواتية على الخصوص خلال هذه الفترة أضحت لزماً على الباحثين المعاصرين الإلمام والاهتمام بمصادر أخرى بديلة لا تقل أهمية عن الكتابات التاريخية المتخصصة لإضاءة المعتم في زوايا هذه الفترة التاريخية؛ ككتب الرحالة على سبيل المثال والتي أضحت تُعد مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ المحلي، فهي تحتوي على معلومات ذات قدر كبير من الأهمية باعتبارها من أوفر المصادر وأوثقها بل وأشملها فيما يتعلق بتاريخ المنطقة من جميع النواحي، ولعل من أهم ميزاتها بالإضافة إلى الحدث نفسه أنها تنفرد بأهمية خاصة تتعلق بمصنفي هذا النوع من المصادر -الرحلات- الذين اتسموا بمنهجية صارمة في تسجيل شهاداتهم وخلال مسارها الخاص بها، حتى أثناء إبداء الآراء الشخصية ولو كانت عفوية، كما أنهم كانوا يلجأون في بعض الأحيان إلى ترجمة شيوخهم (وقد تكون هذه التراجم مفقودة)، وإلى ذكر مصنفات نفيسة يطلعون عليها خلال مسارهم التعليمي.

وكما هو معلوم ومن خلال عنوان هذا البحث فإن محيط الدراسة ليس مكلفاً بالتدقيق في هذا المضمار، والأكثر من ذلك واحتراماً لشرط الحيز الكمي المسموح به للنشر فهي لا يمكنها أن تسع وتستحوذ على كل تفاصيل هذه الرحلات من الناحية التاريخية، ذلك أن الأمر يحتاج إلى دراسة شاملة ومنفردة.

1.3 - الإنتاج التاريخي والجغرافي للتتيلانيين.

يعتبر الإقليم التواتي بما يحتويه من عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات الخزان الحقيقيي للتراث المخطوط في الجزائر عامة، إذ تشير آخر الإحصائيات في هذا المجال أنه و«حتى سنة 1962م كان بالإقليم قرابة العشرين ألف مخطوط موزعة على أزيد من 100 خزانة ومكتبة محلية بالإضافة إلى عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن مدن مالي وموريتانيا والنيجر

وغانا ونيجيريا والمغرب وتونس ومصر»⁽⁷⁰⁾، حيث «انتقلت هذه النسخ بفعل المبادلات الثقافية والتجارية بين شمال وجنوب القارة الإفريقية»، كما شكّلت الأقاليم التواتية بحكم موقعها الاستراتيجي، نقطة تواصل وعطاء بين مختلف هذه الشعوب، وانعكس الأمر إيجاباً على واقع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يستغل الظروف ويشارك حواضر القطبين الشمالي (حواضر المغرب الإسلامي)⁽⁷¹⁾ والجنوبي (حواضر السودان الغربي) بعواصمه التاريخية كتمبكتو وكانو، وشنقيط⁽⁷²⁾، «فكان الحضور التواتي بها أقوى»⁽⁷³⁾.

ومن الاهتمامات العلمية الكثيرة لأهل تنيلان انشغالهم بعلوم التاريخ والسير والتراجم والرحلات والجغرافيا، حيث كان لهم فيها إسهامات كبيرة، ومن مظاهر اهتمامهم بعلم التاريخ هو انكبابهم على تأريخ الأحداث التي جرت في بلادهم، فالعلاقات بين توات وغسرها من الأقطار الإسلامية هي الدافع الذي جعل أهلها يتطلعون إلى العديد من الفنون ومن بينها الفهارس والأنبات⁽⁷⁴⁾ حيث شاع هذا الفن خلال العهد العثماني، فكان العالم يُسجل فيها مرويّاته في الحديث بالسند، والكتب التي قرأها، كما يُسجل شيوخه الذين درس عليهم، ومن «الناحية الشكلية فإن الفهرس يكتب إما كسجل تاريخي شخصي، أو يُدوّن لحظة منحه إجازة لأحد العلماء الراغبين»⁽⁷⁵⁾، ويعتبر مخطوط (فهرسة عبد الرحمان التنيلاي)⁽⁷⁶⁾ من أهم المصادر التاريخية التي اهتمت بالحركة العلمية والعلاقات الثقافية بين توات وبلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان، حيث اهتم صاحب المخطوط برصد الحياة العلمية والثقافية في توات والمغرب وبلاد السودان، وسلط الضوء على بعض الغموض الذي اكتنف تاريخ توات خلال هذه الفترة، ليعطينا بذلك صورة واضحة عن المراكز العلمية النشطة في توات وما جاورها. والشيوخ الذين درّسوا بها والمؤلفات التي اشتغلوا فيها، والعلوم التي درّسوها، وكيفية وطرق تدريسهم لها⁽⁷⁷⁾.

ومن بين أهم تأليف التنيلايين في باب التاريخ والتراجم والسير مخطوط «الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية»⁽⁷⁸⁾ لعبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التنيلاي وهو من

أروع ما أُلّف في باب التراجم بإقليم توات (حسب رأي الشخصي)، ذلك أن هذا المخطوط يضم ستاً وعشرون صفحة بخط مغربي واضح، تضمنت تراجم لأعلام التيبليانيين وعلماء توات بصفة عامة، وفيه باب أفردته لذكر الصالحين والأولياء بتنكوراتين. وتكمن أهمية المخطوط في كونه يُعدُّ مصدراً مهماً من مصادر التأريخ لمنطقة توات وعلمائها⁽⁷⁹⁾.

3-2 وفرة الحقائق التاريخية في الرحلات العلمية التيبليانية: تُعد منطقة توات جزءاً لا

يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، وبحكم موقعها بالجزء الغربي منه فقد كانت لها علاقات كبيرة بمدن وحواضر هذه الجهة وغيرها، كما عرفت المنطقة نزوح العديد من القبائل العربية بعد أحداث القرامطة في البحرين والفاطميين في مصر وتيهرت، وبعد سقوط الأندلس ممّا شجّع الحركة العلمية والثقافية بهذه المنطقة من إنشاء لمراكز علمية كثيرة، زيادة على ذلك ورث أهل المنطقة عن النازحين الكثير من الصفات والخلال الحميدة ناهيك عن الدين واللغة⁽⁸⁰⁾. ولعل كثرة المخطوطات والنوازل ومختلف التأليف يُعدّ مرآة عاكسة لكل ما كان يعج به المجتمع من عادات وأتماط ثقافية واجتماعية وعلاقات فكرية وعلمية.. كما كان هذا الزخم الفكري أداة فعالة استعملها العلماء والفقهاء لإبراز مكانة توات الحضارية وراج إبداعها العلمي بين الحواضر المخاذية، ممّا يُعطي الانطباع على القيمة الاجتماعية التي يحظى بها أهل العلم والفكر والأدب، فقد ذكر السعدي: «أن قائمة العلماء المشهورين في مساحد وجوامع الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يُشكل التواتيين من بينهم نسبة تقارب النصف، وهؤلاء جميعاً آلاف المخطوطات»⁽⁸¹⁾، وبالتالي يمكن القول: أن إقليم توات - وبالنظر إلى موقعه الجغرافي المتميّز الذي توسّط فيه كبريات الحواضر الثقافية والإسلامية قديماً، إضافة إلى الدور المؤثر لمؤسساته الثقافية والعلمية، وما أنتجته من علماء وفقهاء- جعله يستقطب جموع النخب العلمية والأدبية إلى رحابه، وبذلك شكّل منها ساحة حراك ثقافي وعلمي فعّال أنتج على مر القرون أعلاماً سامقة، وتراثاً تاريخياً زاخراً بالإبداع والتفوق، ومن أشهر الرحلات التيبليانية:

-رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني:

اهتمت هذه الرحلة من الناحية التاريخية بالجانب الثقافي، فبرزت فيها مدرسة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتيلاني ومدرسة الشيخ الونقالي، وهما من أشهر المراكز العلمية في القرن الثاني عشر الهجري بدون منازع، كان يقصدهما الطلبة من جميع النواحي، وأوضح لنا طريقة التدريس التي كانت تنهجها المدرستين، وقد أخبرتنا هذه الرحلة عن وفاة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتيلاني ومن صلى عليه، وأشارت إلى المدة التي بقيها الركب في الأزهر الشريف حيث يقول في ذلك: «...إلى أن بلغنا القاهرة وتلقانا علماؤها وأنزلونا بفناء الأزهر وأقمنا به خمسة عشر يوماً...»⁽⁸²⁾.

-فهرسة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني:

يشخص الشيخ عبد الرحمان بن عمر في فهرسته الوضع الثقافي المتدني الذي كان يشهده إقليم توات مع مطلع القرن الثاني عشر فيقول: «.. فقدم علينا في آخر ذي الحجة سنة ستة وعشرين ومائة وألف، - عمر بن عبد القادر التتيلاني - فألقاني صبياً بالمكتب لم أحفظ القرآن بعد، فوجد بلاد توات وتجواريين [كذا] جيديها عاطل من العلوم، وجل طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء فضلاً عن غيرها مما تحار فيه الفهوم، فاستنارت بنور علومه أرجاؤها، وانكشفت لظهور شموه أقمارها، فوفد عليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه وانتفعوا به كثيراً، وتخرج عليه جماعة ولم يزل علمه إلى الآن ونرجو من الله بقاءه إلى انقضاء الزمان...»⁽⁸³⁾، ويفسر البعض هذا القول بمجموعة من الأسباب والقرائن التي جعلت عبد الرحمان بن عمر التتيلاني يحكم بهذا الحكم ومنها؛ أن المؤلف كان يقصد تتيلان والمناطق المجاورة لها⁽⁸⁴⁾، وإلا فإن المناطق الأخرى كانت بها مراكز علمية منها زاوية البكرين بتمنطيط والزاوية الكنتية وغيرهما، ومن المعلوم أن رحلته كانت سنة 1113هـ/1701م وقد يكون أكبر سبب يفسر حكم عبد الرحمان بن عمر التتيلاني هو أنه كان يريد الإغلاء من شأن عبد القادر

بن عمر التتيلاني لشدة إعجابه به خاصة وأن الشيخ كان متشوقاً لعالم يمكن أن يركن إليه في مساره الدراسي في هذه الحقبة.

كما أن هذه الرحلة زوّدت المؤرخين بالعديد من التراجم النواتية النادرة بشكل وافي، منهم الشيخ عمر بن عبد القادر التتيلاني، والشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري، والشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرّقادي الكنتي وغيرهم، وأشار في هذه التراجم على مؤلفاتهم وشيوخهم ومكانتهم العلمية وكيفية حصولهم على إجازات.

-رحلة عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني، والموسومة بالرحلة إلى ثغر الجزائر العاصمة⁽⁸⁵⁾: وتكمن الأهمية التاريخية لهذه الرحلة أنها تعرضت إلى الحملة الانجليزية-الهولندية الشهيرة (حملة اللورد اكسموث Lord Exmouth) عام 1816م على الجزائر؛ بالذكر والوصف والتحليل، فشخصت أسبابها قبل وبعد انطلاق المعركة، بالإضافة إلى الظروف المحيطة بالحملة، وبذلك يكون عبد الرحمان بن إدريس هو مؤرخ هذه الحملة إذا أسقطنا الكتابات الغربية التي هي في الأحيان تفتقد إلى الموضوعية التاريخية، كما أنه تبين لنا مدى الترابط بين السلطة العثمانية وإقليم توات، وذلك من خلال إبراز رحالتنا لمعالم الطريق الممتدة من توات إلى الجزائر العاصمة والتي تمر بغرداية ومتليلي وبايلك التيطري، كما تتضح العلاقة كذلك من خلال التعاطف الذي أبداه المؤلف مع السلطة العثمانية بما يظهر نوعاً من الولاء والتبعية⁽⁸⁶⁾.

-الرحلة الحجية لعبد الرحمان بن عمر التتيلاني⁽⁸⁷⁾:

من المعلوم أن الشيخ توفي قبل إتمام هذه الرحلة، ولهذا فإن ترتيبها وجعلها في الشكل الذي هي عليه الآن، وحتى عنونها برحلة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني في مطلع كل نسخة، يعود ذلك في الأرجح إلى النساخ ولهذا اقتصرنا فقط على هذا العنوان دون غيره - كما كان التواتيون يُعنونون رحلتهم بالحجازية⁽⁸⁸⁾ - تجنباً لإضافة أي شيء إلى المخطوط الأمر الذي

يتناهى ومهنة النسخ، كما أن الرحلة التواتية في هذه الفترة -القرن الثاني عشر هجري- شهدت تداخلاً وامتزاجاً بينها وبين الفهرسة مثل: (فهرسة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني)، و(فهرسة عمر بن عبد القادر التواتي)⁽⁸⁹⁾ إلا أن هذه الرحلة خلعت من كل التراجم والسير و«اتضحت فيها معالم الرحلة التي لم تكن في غيرها من الرحلات التواتية، واكتسبت بعداً آخر»⁽⁹⁰⁾ فهي رحلة بكل المواصفات.

إن الوصف الذي يقدمه لنا الشيخ عبد الرحمان التتيلاني حول طريق الحج البري الجنوبي الصحراوي من تمطيط إلى مكة، يمكننا من أخذ فكرة حول الظروف التي كان يؤدي فيها الحاج -الجزائريون عموماً والتواتيين خصوصاً- هذه الفريضة، ومدى شوقهم إلى زيارة الأماكن المقدسة رغم صعوبة الطريق. غير أن هذه الرحلة لا تعطينا تفاصيل دقيقة حول أحوال المناطق التي تمر بها، بل تكتفي بذكر أسماء الأماكن فقط. ولهذا فإن الفائدة لا تكتمل إلا بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلاً، ورغم ذلك فإن رحلة الشيخ عبد الرحمان التتيلاني من توات إلى مكة مروراً بالصحراء الليبية والبلاد المصرية وحواضر الحجاز؛ رحلة لا تخلو من فوائد تاريخية وجغرافية هامة، وأن صاحب الرحلة لم يكن يقدم وصفاً تقليدياً للمناطق التي زارها وإنما حاول على قدر الإمكان تقديم معلومات دقيقة، أكثر توصيفية ظهرت فيها لمسته العلمية والفكرية من خلال المواقف التي تبناها (زيارة القبور - الطريقة الصحيحة لأداء مناسك الحج...) والمبادئ التي حاول فرضها (شح بعض أهالي المناطق الصحراوية أو لصويتهم...)⁽⁹¹⁾

4- منهج كتابة الرحلة عند التتيلانيين وخصائصها (دراسة استنتاجية):

تتميز الرحلة التواتية عموماً والتتيلانية خصوصاً عن غيرها من الرحلات المغربية بمجموعة من المميزات التي أعطت مفهوماً آخر لتدوين الرحلة وبعداً غير الذي عهدته عند

الرحالة العرب، وهذا الأمر ليس من باب التفاضل وإنما من باب التمايز بين الطرفين، حيث يبرز هذا التمايز جلياً في أسلوب سرد الرحلة أو في طريقة تدوينها .

4-1 منهج كتابة الرحلة التتيلانية:

إن أهم خطوة منهجية تعتمد عليها الرحلة التتيلانية أنها لا تعتمد في سردها للمعطيات التاريخية والجغرافية على الرحلات التي سبقتها في التدوين، وإنما تعتمد بالأساس على الملاحظة والمشاهدة في عملية رصد متواصل للأحداث، ولهذا يتفاوت وصف المدن عند الرحالة التتيلانيين طولاً وقصراً وحسب المدة التي أقامها في المدينة، وحسب الانطباع الذي خلّفته في نفسه، والأهمية التي رأى أنها تستحقها في حين نجد ذلك في الرحلات الأخرى مثل: «رحلة ابن جبير الذي اعتمد عليه كثيرٌ من الرحالة في تدوين رحلاتهم، لأن رحلته تمتعت بأسلوب أشاد به جميع الرحالة في بساطته وإحكامه وجماله»⁽⁹²⁾، ومن أهم الرحالة الذين كتبوا عنه ابن مليح (محمد بن أحمد القيسي)⁽⁹³⁾، ويتجلى ذلك في المناطق التي نجدها متكررة في رحلات عدة خاصة وصف المزارات في القاهرة⁽⁹⁴⁾.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الرحلة التتيلانية لا تزيد عن الهدف المحدد لها خاصة الحجازية منها، في حين أن غيرهم من الرحالة كثيراً ما يُتبعون رحلاتهم بالسفر إلى بلاد المقدس والعراق والهند وبعض الأماكن الأخرى مثل: ابن بطوطة عندما زار العديد من البلدان⁽⁹⁵⁾، كما أن المؤلفين التتيلانيين لم يشيروا في بداية رحلاتهم إلى الطريقة التي سيعتمدونها في تقسيم وتبويب الرحلة ولا عن الشروط والمناهج التي يدونون وفقها هذه المخطوطة، إلا أن الدارس والمتمعن يدرك حقيقة أن الرحلات التتيلانية في المجمل لم تكن في شكل سرد قصصي خالٍ من أي خطة منهجية يمكنها أن تضبط وتُقيّد أحداث هذه الرحلة في تسلسل وترابط حلقاتها، بل أن المؤلف التتيلاني اعتمد على مجموعة من القواعد والمناهج التي أضفت على أحداث ووقائع الرحلة صفة العلمية وإن لم يصرحوا بها في مطلع رحلاتهم، وأهمها:

• **ذكر أسباب الرحلة ودوافعها،** حيث يعتمد المؤلف التتيلاني في بداية رحلته على مقدمة يبين فيها سبب رحلته التي كانت سواءً من أجل تأدية شعيرة الحج إلى البقاع المقدسة، أو بسبب تحصيل العلم أو السياحة والاستكشاف، ثم ينتقل بأسلوب سلس للحديث عن كيفية التحضير للسفر وبهذا يكون قد مهّد وقدم لما هو مُقبل عليه دون الدخول مباشرة في صلب الموضوع .

• **إبراز المعالم والحدود الجغرافية الهامة** والمتعارف عليها في تلك الحقبة الزمنية "القرن الثامن عشر الميلادي" التي هي بمثابة التقسيمات المنهجية المعتمدة عند المؤلفين في عصرنا الحالي، فالرحلة الحجية لعبد الرحمان التتيلاني مثلاً قسّمت مسار الرحلة موضوعياً بما يتوافق والمسار الجغرافي للرحلة: "صحراء فزان"، "ريف مصر"، "بداية تأدية مناسك الحج" (96) مرفقة بتواريخها .

• **التركيز على الأهم والابتعاد عن الحشو الممل:** لم يتعرض المؤلفون في رحلاتهم إلى التفاصيل المملة في الرحلة والتي تخدم الغايات العلمية والشرعية منها، بل اقتصروا فقط على ذكر المهم والمشوق منها دون الأمور الثانوية التي لا فائدة من ذكرها، ولهذا جاءت نصوص رحلاتهم قصيرة ومركزة دون السرد الممل والمخل لمبناها ومعناها، وعلى النقيض نجد التفاصيل والتدقيق في قضايا علمية وجغرافية ودينية واجتماعية مهمة صادفتهم في الرحلة، فمثلاً نجد صاحب الرحلة الحجية يُسرف في الحديث عن المستوى الثقافي والديني لسكان المناطق التي مرت عليها الرحلة (سلباً أو إيجاباً) مثلما وقع له في قرية "سوى" و"القاهرة" و"وجلة" (97) أما المناطق العادية والمشهورة فيذكرها دون تعقيب عليها مثل: "مناطق الحجاز" (98) بالإضافة إلى التركيز على منابع المياه ووصفها وصفاً دقيقاً من حيث المראה والحلوة والملوحة مثل: "ماء بندر الإلزام" الذي وصفه بالقبيح، وأما "ماء القبط" و"بئر السلطان" فهما من أطيب مياه الدرب (99) وهذا راجع إلى أهمية المياه بالنسبة للرحلة، كما أننا نلمس من خلال هذه

الأوصاف وكأن المؤلف يكتب ويدون لقوافل الحجيج القادمة من بعده فيوضح ويشرح تفاصيل الطريق مركزاً على منابع المياه، وعلى ذات السياق ركز صاحب الرحلة الحجية أيضاً على خصائص الشعوب ومميزاتها الثقافية والحضارية ومستوى معيشتهم وأمنهم، كحديثه عن "قرية زويلة"⁽¹⁰⁰⁾ وعلى النقيض من ذلك نجد يستنكف عن ذكر تفاصيل المناطق الخالية من السكان.

● **احترام التسلسل الزمني لأحداث الرحلة:** ولعل أشد ما أثار انتباهي في دراساتي لمنهج وخصائص الرحلة التتيلانية هو مراعاتها للتسلسل الزمني والسرد الكرونولوجي لأحداث الرحلة مع التركيز على التواريخ دون خلط أو تقديم أو تأخير لمناطق على أخرى، وبالكاد تعثر لك فيها على تناقضات أو أخطاء في تسمية ووصف الأماكن الجغرافية وفي تسلسل الأحداث التاريخية والغرض من ذلك تخوفهم من أن تفقد الرحلة مصداقيتها العلمية والمنهجية .

● **بساطة الأسلوب:** أما من حيث الأسلوب فقد اعتمد المؤلفون التتيلانيون في تدوين رحلاتهم على لغة جميلة واضحة يفهمها العام والخاص، فالأسلوب البسيط الخالي من الحشو والتكرار الممل لا يستمله القارئ مطلقاً، ومن أمثلة اللغة الجميلة في التعبير قول الشيخ عبد الرحمان بن عمر في رحلته: «...ولما تعالى النهار وأفطر الركب غيّمت السماء وأبرقت مطراً غزيراً وصارت الأرض كأنها نهر واحد...»⁽¹⁰¹⁾، وأما عبارات نص الرحلات فقد تراوحت بين القصيرة والطويلة، وأما مصطلحاتها فقد تراوحت هي الأخرى بين الجزالة والبساطة، وغرضهم في ذلك هو الاستمتاع بما عند العودة مع الأهل والأحباب، فلو كُتبت بلغة جزلة فإن سيفقدها عنصر التشويق والإثارة وتصبح مادة علمية جافة، وهذا التبرير هو مجرد احتمال مني يمكن أن نبرر به غرضهم، وقد تكون هناك تفسيرات وتبريرات أخرى أكثر توضيحاً للسبب الذي جعل التتيلانيين يهتمون في تدوين الرحلة بالمعنى دون الإطار الشكلي للمضمون، وحتى نكون أكثر موضوعية فأسلوب الرحلة التتيلانية لا يعكس شخصية المؤلف لها ولا يعكس

بالمرة مستواه الثقافي والفكري والعلمي مثلما تعكسه مؤلفاته الأخرى⁽¹⁰²⁾ التي تمتعت بالرصانة وبالأسلوب اللغوي الراقي.

5- تحليل النتائج:

إن الرحالة التنبليانيين كانوا يعتمدون في تدوين رحلاتهم على مجموعة من القواعد والضوابط التي كانوا يتقيدون بها وفق النمط الخاص بهم في تسجيلاتهم عبر السفر بغض النظر عن نوع الرحلة والأسباب التي كانت من أجلها، كما أن هذه المناهج لم تكن مدونة ومحدودة كما هي المناهج اليوم، وإنما هي عبارة عن أمور متفق عليها من طرف الرحالة، تدون وفقها الرحلة، وقد تزيد في رحلة وتنقص في أخرى، ومن أهمها ما يلي:

■ تتفق الرحلات التنبليانية على مقدمة واحدة يفتح فيها عادةً: «الحمد لله والثناء عليه لتيسير سبيل الرحلة، ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ»، وتتنوع العبارات والمصطلحات في ذلك كثيراً، بحسب ما يخدم غايته وهدفه، وفي أغلب الأحيان تكون المقدمة مسجوعة في شكل ميمز مليء بالمحسنات البديعية، تدلُّ على قدرتهم البالغة في استعمال الألفاظ اللغوية، نذكر من الأمثلة على ذلك ما جاء في مقدمة (رحلة لمؤلف مجهول) حيث يقول في مطلعها: «.. الحمد لله الذي تفضل علينا بالرحلة إلى الحج بيته الحرام وقدر ذلك في سابق علمه وقضى به، وجعله من أفضل المرام، ومن علينا بالتوفيق له لنخرط في سلك ذلك النظام لتقصي أثر أرباب القلوب من السادات الكرام والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيدنا العرب والعجم المبعوث إلى كافة الأنام وعلى آله وصحبه كُيُوث الكفاح ومصابيح الظلام...»⁽¹⁰³⁾ وغيرها من الأمثلة الكثيرة على ذلك.

■ كما تتفق دوماً على إبراز الأسباب والأهداف والدواعي من الرحلة، بعد الإنتهاء من المقدمة مباشرة، وقبل الشروع في الانطلاق في الرحلة، ونجد ذلك واضحاً عند عمر بن عبد القادر التنبلياني حيث يقول: «... فقد كنت في حال صغري شغوفاً بالعلم مولعاً بطلبه،

مُشتَغلاً بقراءة الشيخ خَلِيل، وألفية ابن مالك، مُقبلاً على ذلك، مُشوّفاً إلى شيخ يحلّ لي ألفاظهما ويوقّفي علي معانيهما، فلم يتفق لي ذلك؛ لِكَون البلد شاعراً من العلماء، إلى أن شَرَحَ الله صدرى وتوجهت هِمَّتِي للسَّفَر لسجلّامة، أو لمدينة فاس قصداً لذلك، فثَبَّتَ عِنَانُ عزمي، وصَرَفْتُ لذلك وجهي...»⁽¹⁰⁴⁾. والأمر نفسه عند الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتلاي في رحلته إلى ثغر الجزائر حينما يقول: « فلماً قَدَّرَ الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر، وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنير، أحد شهور [سنة] إحدى وثلاثين ومائتين وألف [1231هـ/1816م]، خرجت من بلدتنا "زاوية تَتِيلَان" ثالث الشهر المذكور، وفي ثامن، دخلت بلدة "تِيْمِيمُون"، قاعدة قرى (قُرارة)، وأقمت فيها تسعة أيام...»⁽¹⁰⁵⁾، كما أن هناك من يورد اسمه ونسبه وموطنه بعد أو قبل ذكر الأسباب والدواعي وحتى المقدمة في بعض الأحيان النادر في الرحلات التواتية، وهذا النموذج نجده عند عبد الرحمان بن عمر التتلاي في رحلته (الفهرسية)، حيث يقول فيها: «يقول راجي عفو ربه الكريم، وفضل جوده العقيم، عبد الرحمن بن عمر التواتي منشأ ومولداً الأموي أصلاً ومختدداً، الحمد لله الذي فضّل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم...»⁽¹⁰⁶⁾.

■ من الأمور المهمة في مناهج تدوين الرحلة عند التتيلانيين هو كتابة تاريخ انطلاق الرحلة وتاريخ الوصول خاصة في الرحلات الحجازية، ومما يستدلُّ به على ذلك؛ رحلة عبد الرحمان بن عمر التتلاي الحجازية حيث صرَّح في بدايتها بقوله: «... فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جمادى الأخير...»⁽¹⁰⁷⁾.

■ تقتضي المناهج المتعارف عليها عند التواتيين عموماً، والتتيلانيين خصوصاً أن يكون التدوين في مسار الرحلة، وليس عند بلوغ الغاية من الرحلة، ويؤكد ذلك وصفهم الدقيق للأشياء، وذكر بعض الملامح الجغرافية مثل الريح والمطر والتواريخ التي يصعب وصفها فيما بعد⁽¹⁰⁸⁾، مما أفقد الرحلات التواتية في بعض الأحيان الدقة في ترتيب الكلام والتنظيم نظراً لما

كان يعانيه الرحّالة من عناء السفر في الطريق، وهذا خلاف لبعض الرحلات العربية الأخرى التي كانت تُدوّن عند الوصول وتميزت بالدقة والتنظيم.

■ ومن مميزات الرحلة التنيلاية المدونة؛ هو الاختصار والإيجاز في عرض أحداث الرحلة ومراعاة الأهم دون التحدث عن العوارض اليومية، والأحداث العادية ويتجلى ذلك من خلال الحجم العام لهذه الرحلات حيث نجد أن رحلة عبد الرحمان بن عمر التنيلاي لا يفوق عدد صفحاتها عشرون صفحة من الحجم الصغير، ورحلة عبد الله بن أحمد الفلّاني على الرغم من أهميتها التاريخية فهي لا تتعدى ستين صفحة، ومن الرحلات العلمية التي امتازت بشيء من الطول رحلة عمر بن عبد القادر بن عمر التنيلاي، لكنها لا ترقى في عدد صفحاتها إلى ما كتبه العياشي وابن بطوطة في رحلتيهما.

الخاتمة:

إن أدب الرحلة التنيلاية يشترك مع أدب الرحلة في التراث العربي الإسلامي عموماً (من حيث أنه جنس أدبي له خصائص ذاتية، ومن حيث أنه خطاب له منطقه الذاتي وقوانينه التي تتصل بذلك المنطق).. فالمقارنة ممكنة، من جهة بنية الخطاب الرحلي (نسبة إلى الرحلة)، بين هذه النصوص جميعاً، وهنالك ثوابت تظل موجودة مع تعدد لغات الحديث واختلاف الأزمنة والأمكنة، ويمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة المقتضية والمتواضعة، وهي كثيرة ومتنوعة نبرز الأهم فيها.

1. أن أهل تنيلا استطاعوا أن يطوّعوا الصحراء لمقتضيات حاجتهم الحياتية، فانتزعوا ما يحتاجون إليه في بناء ثقافتهم وتطوير نمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية لديهم، ولم يتوقف نشاطهم عند هذا الحد؛ بل إن علمائهم ومبدعيهم ما لبثوا أن ربطوا حواضر شمال المغرب الإسلامي بحواضر السودان الغربي .

2. أن أهم ميزة انفرد بها علماء تنيلان خلال القرن 12هـ أنهم كانوا موسوعيين فنجدهم متضلعين في علوم اللغة والفقه والحديث مع نبوغهم في فنون الأدب والرحلات والتاريخ. ومن هنا نقول أن الزوايا التنيلاية تعتبر نموذج للدعوة والإرشاد والفتوى بإفريقيا والمغرب الإسلامي في ذلك الوقت.

3. أن الرحلات التنيلاية وإن اختلفت السياقات التاريخية والمرجعية الصوفية ومسالك السفر وطريقة تناولها، فإن مؤلفيها ينتمون جميعاً إلى النخبة العاملة في بلاد توات، ويصدرون عن مرجعية ثقافية واحدة، كما أن رحلاتهم كانت تنتمي كلها إلى الأدب مقصداً وموضوعاً ومعجماً، وتشارك كلها في التتبع الزمني لمسار الرحلة وذكر محطاتها والعوائق التي اعترضتها والأنشطة المختلفة التي ميزتها، وخاصة منها الأنشطة الدينية، والأنشطة العلمية المتصلة بلقاء العلماء ومذاكرتهم ومحاورتهم ومد جسور التواصل معهم.

4. أن الرحلات التنيلاية كانت تكتسي أبعاداً اجتماعية تتجاوز الحدود المحلية إلى بعض الأقطار العربية يمكن الاستفادة منها؛ وذلك أنها أشارت إلى العديد من العادات والتقاليد والأعراف السائدة حينها في بعض القرى والمدن والمداشر سواء المغمورة أو المعلومة في المجتمعات التي كانت في مسار رحلاتهم

5. أن الرحلات التنيلاية تتفق في مجموعة من الخصائص والمناهج كاستعمال الأسلوب القصصي والوصف الفني في تدوين الرحلة وعلى السجع والمحسنات البديعية في مقدمات أعمالهم وخواتيمها، وقد تختلف عن بعضها البعض من جهة الأسلوب والمنهج .

6. أن أهم دافع جعل الإنسان التنيلاي يتحمل مصاعب الطريق وعقبات الطبيعة القاسية وانعدام الأمن، هو الدافع الديني والعقدي المتجذر في تركيبة هويته الحضارية فحضارته هذه التي صنعها خلال نهايات الفترة الوسيطة كانت قائمة في الأساس على العنصر الديني والإيمان العميق بعقيدته التوحيدية، فلم تثنيه الظروف السيئة والأحوال الصعبة التي تصادف رحلاته عادةً إلى الحج عن قضاء شعائره الدينية، ثم تتجلى الدوافع الأخرى بعدها (العلمي،

الاجتماعي، الشخصي). وكما يقول بوقيل إن: « دماء هؤلاء الذين قدموا من الصحراء من الأراضي الممتدة إلى شمالها ما زالت تجري في عروق بعض شعوب السودان، وكذلك فإن دماء السودانيين قد تركت آثارها في بعض أهل الواحات في الصحراء وفي أهل المدن في المغرب»⁽¹⁰⁹⁾.

الهوامش:

- 1- حول مفهوم الرحلات ودلالاتها خلال هذه الفترة، يراجع: - ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار المعارف، القاهرة، (ب.ت)، ص 264. للتوسع يراجع: - عواطف (يوسف نواب)، الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز ف القرنين 7 و 8 الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة ملك فهد الوطنية، السعودية، (1996م)، ص- ص(40-87) - مجد الدين (القيروان آبادي)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ، دار الفكر، لبنان، (2010م)، ص 904- وأيضاً: - حسين محمد فهم، (1978م)، أدب لرحلات، عالم المعرفة، الكويت، ص12.
- 2- ينظر: عبد الله (كروم)، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزان توات، دار حلب، الجزائر، (2007م)، 238.
- 3- العربي القلي، الرحلة بين النبل والجمشع، (الهجرة والرحلة)، (ب.ت)، ص46.
- 4- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، (2004م)، ص614.
- 5- أنظر: - مقدمة النشرة المحققة لرحلة محمد بن عثمان المكناسي، - الفاسي محمد، الإكسر في فكاك الأسير، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط. (1965م).
- 6- حسين (نصار)، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، (1991م)، ص.ص(17-18).
- 7- عبد الله (كروم)، المرجع السابق، ص.ص(35-36).
- 8- بن قينه (عمر)، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (1992م)، ص-ص(125، 129). يراجع أيضاً: - الفاسي محمد، (1958م)، الرحالة المغاربة وآثارهم، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة الثانية
- 9- اليعقوبي (أحمد بن إسحاق)، (ت. بعد 292هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت. (1422هـ).
- 10- البيروني (أبي الريحان محمد بن أحمد)، (ت.440هـ)، الآثار الباقية عن القرون الخالية للشاملة، دار صادر، بيروت. (1380هـ).

- 11- الشريف الإدريسي (محمد بن محمد)، (ت.559هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. (2008م).
- 12- ابن جبير الأندلسي (أبو الحسن محمد)، (ت.614هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت. (ب.ت).
- 13- ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله)، (ت.779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مج6، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب. (1997م).
- 14- الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي)، وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت. (1983م).
- 15- العياشي (عبد الله بن محمد)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، مج2، تح. سعيد الفضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، أبوظبي. (2006م).
- 16- ابن حمادوش (عبد الرزاق)، رحلة ابن حمادوش الجزائري، (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، تح. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر. (1983م).
- 17- الورتيلاني (الحسين بن محمد)، الرحلة الورتيلانية، (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. (2008م).
- 18- بن قينه (عمر)، المرجع السابق، ص11.
- 19- أبي راس الناصر (محمد بن أحمد)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح. محمد غالم، منشورات كراسك، الجزائر. (ب.ت).
- 20- أحمد (أبا الصافي جعفري)، رجال في الذاكرة محمد ابن أب المزمري 1160هـ/1747م حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، (2004م)، ص 32- أنظر أيضاً: - جعفري (أ مبارك)، تنقل علماء توات وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12هـ / 18م، الملتقى الوطني الأول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي جامعة أدرار بالاشتراك مع جامعة تيارت، ص ص 144- 145- البكري (عبد الحميد)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الجزائر: مطبعة الطباعة العصرية، (2010م)، ص- ص 26- 66.
- 21- جعفري (أ مبارك)، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، وزارة الثقافة، الجزائر، (2009م)، ص، ص (122، 126 - 127، 132).

- 22- الصديق (الحاج أحمد)، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ، إلى القرن 14هـ، مديرة الثقافية لولاية أدرار، الجزائر، (2007م)، ص- ص(155- 160)، وللتوسع أكثر ينظر: -عبد الحميد البكري المرجع السابق، ص- ص 62-66، جعفري (أحمد أبا الصافي)، العلاقات الفكرية والفقيه بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، مصر، تونس، موريتانية، الجزائر، وبجاية أنموذجا، الملتقى الوطني الأول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي جامعة أدرار بالاشتراك مع جامعة تيارت، (2009م)، ص 121. فرج (محمود فرج)، الدور الحضاري للإقليم التواتي في أفريقيا السوداء، مجموعة محاضرات المهرجان الثقافي الثالث لتعريف بتاريخ منطقة توات للدراسات الإسلامية والعربية في أفريقيا، مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، (1988م)، ص 06.
- 23- الصديق (الحاج أحمد)، الرحلات العلمية ودورها في التفاعل الثقافي بين حاضرتي توات وفاس خلال القرن 12هـ / 18م، الملتقى الوطني الأول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي جامعة أدرار بالاشتراك مع جامعة تيارت، (2009م)، ص 238.
- 24- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، رحلة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني إلى الحج، مخطوط بخزانة، أبا عبد الله، أدرار، الجزائر، ص 02.
- 25- عبد الكريم (بن أحمد التمنيطي)، ولد عام 994هـ بتمنيط وبها نشأ وتعلم على يد والده، من أهم تأليفه (غاية الأمل في إعراب الجمل) وهو شرح على لامية ابن الجراد، و(تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز) و(شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان)، ينظر: عبد الحميد (البكري)، المرجع السابق، ص-ص(120- 125)، وأيضاً: - البكري (عبد الكريم بن محمد)، الرحلات والتراجم، رحلة عبد الكريم بن محمد البكري في طلب العلم، تح: عبد الحميد (البكري)، ج2، دار الغرب، الجزائر، (2008م)، ص 40.
- 26- عمر بن عبد القادر التتيلاني، رحلته في طلب العلم، مخطوط بخزانة بأعبد الله، أدرار، ص 72. وما بعدها.
- 27- ضيف الله بن أب: ولد في شوال 1122هـ/1710م ينتمي إلى قبيلة أولاد أحمد من حنينون، ينظر: - قدي(عبد المجيد)، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة دراسة تاريخية، ثقافية واجتماعية، (ب، م)، (ب، ت)، ص 85. وأيضاً - التتيلاني (محمد عبد القادر بن عمر)، الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسين والعلويين، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، ص 39.
- 28- عبد الله (كروم)، المرجع السابق، ص 84.
- 29- ضيف الله (بن أب المزمرى)، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بخزانة تمنيط، ص.ص (01-03).

30- أحمد (بن هاشم العموري)، لم تشر المصدر حسب علمي إلى السنة التي ولد فيها ولا حتى بترجمة وافية عنه، ويذكر أنه قام بزيارة أجداده في قصر المستور بسالي، سنة 1113هـ/1701م، توفي 13 رمضان 1199هـ/1784م، كما أثبت على الوجه الأول للرحلة الموجودة بخزانة أدغا" ينظر: - عمر بن عبد القادر التتيلاني، رحلته في طلب العلم، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار، ص 37، وأيضاً: - عبد الله (كروم)، المرجع السابق، ص 22.

31- MARTIN A-G-P. quatre siècles d'histoire marocain (1504_1904) 'paris, (1923), p-p (1-2).

32- عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التتيلاني: ولد عام 1181هـ، توفي في شهر جمادى الثانية عام 1233هـ بمدينة سوى الليبية وهو قادم من فريضة الحج، بنظر: - ملاح (عبد الجليل)، الحملة الانجليزية على مدينة الجزائر من خلال رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني، الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية أبان العصر الحديث 1500م- 2000م جامعة أدرار، (2010م)، ص.ص (154 - 155).

33- التتيلاني (عبد الرحمان بن إدريس)، الرحلة إلى الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص 03.

34- ملاح (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص.ص (155-157).

35- ولد سيد الحاج: هو أحمد بن محمد الحاج بن سيدي محمد أبي نعامة الكنتي المعروف بـ "ولد سيد الحاج" كان ميلاً إلى قول الشعر الملحون وتوجه إلى مدح الرسول ﷺ حتى سمي بذلك "مداح الرسول" - ينظر: - عبد المجيد (قدي)، المرجع السابق، ص.ص (133-135). وأيضاً: - عبد الله (كروم)، المرجع السابق، ص.ص (65-67).

36- محمد (بن عبد الكريم)، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة، أدرار، ص 44 - الوليد (بن الوليد)، تاريخ توات وفروع بعض القبائل، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص 30. عبد الحميد (البكري)، المرجع السابق، ص 147، وأيضاً: - الحاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 76.

37- أمبارك (جعفري)، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، المرجع السابق، ص 169.

- 38- الوليد (بن الوليد)، المخطوط السابق، ص31. أنظر أيضاً: - أمبارك (جعفري)، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، المرجع السابق، ص 166.
- 39- التنيلاي (عبد الرحمان بن عمر)، فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنيلاي التواقي، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار، ص19.
- 45- صلاح (مؤيد العقبي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، (2009م)، ص 513.
- 40- قصر تـنـيـلان: هو إحدى قصور تـيـمي، تقع حالياً في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، للتوسع يراجع: - باي (بلعالم محمد)، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاي، دار هومة، الجزائر، (2004م)، ص 3- وأيضاً: - جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، المرجع السابق، ص60.
- 41- يراجع: - عمر (عبد العزيز)، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومة للنشر، الجزائر، (2004م)، ص145- مؤلف مجهول، تقييد لأنساب العائلة التنيلاية، مخطوط بخزانة با عبد الله - أدرار.
- 42- محمد عبد العزيز سيد اعمر، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، مخطوط بخزانة زاوية مهديّة، أدرار، ص 09.
- 43- نفسه.
- 44- باي بلعالم (محمد)، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمان بن عمر التنيلاي، المرجع السابق، ص 3.
- 45- محمد عبد العزيز سيد اعمر، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، مخطوط بخزانة زاوية مهديّة، أدرار.
- 46- رشيد بليل، المرجع السابق، ص 139.
- 47- Martin (A.G.P) ،Les Oasis sahariennes .Op.Cit. P68.
- 48- الواجدي: نسبة إلى قصر واجدة بتيميمون.
- 49- رشيد بليل، المرجع السابق، ص-140 - 141.
- 50- لقب المرابطين بإقليم توات بمنح للذين ينحدرون من أحد الصحابة أو عالم جليل.
- 51- رشيد بليل، المرجع السابق، ص 142.
- 52- يحي ولد الصافي، حقيقة السبوع بمنطقة قورارة، نشرية، 2008م، ص 07.
- 53- نفسه، ص 32.

- 54- عمر عبد العزيز، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المرجع السابق، ص 80.
- 55- المهداوي (عبد القادر بن عمر)، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار، ورقة 04-05.
- 56- أحمد (بن يوسف التنيلاي)، وثيقة حبوس تنيلان، مخطوط بخزانة تنيلان، أدرار.
- 57- هذه الفقرة تتبع من المنطقة الشمالية للقصر.
- 58- للتوسع يراجع: - بخدا مريم، أعلام العائلة التنيلاية ودورهم العلمي والإداري بإقليم توات خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. خير الدين شترة، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2012-2013م.
- 59- أولاد ونفال: من أكبر قصور تيمى، ويقع اليوم ضمن النطاق الإداري لبلدية أدرار، تسكنه الكثير من العوائل الذائعة الصيت في المجال العلمي، خاصة فرع المحاجيب وهم من كتنة، من أهم مزاراته ضريح عبد الله الوانقالي.
- 60- أحمد بن يوسف الوانقالي ثم التنيلاي، توفي 1078هـ، يراجع: -المهداوي، عبد القادر بن عمر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار، ورقة 04).
- 61- أحمد بن يوسف الوانقالي التنيلاي، وثيقة حبوس تنيلان، مخطوط خزانة تنيلان، أدرار.
- 62- نفسه..
- 63- نفسه.
- 64- وثائق لدى أحفاد عمر المهداوي التنيلاي، بزواية مهدية. أدرار.
- 65- المهداوي (عمر بن عبد الرحمان)، وثيقة حبوس زاوية مهدية، وثيقة لدى أحفاده، أدرار.
- 66- بعثمان، (عبد الرحمن بن محمد)، فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنيلاي التواتي، مذكرة شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، (غير منشورة)، جامعة بشار، إشراف: د. محمد بن معمر، السنة الجامعية 2008/2009، ص 67.
- 67- باي (بلعالم محمد)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، دار الأمة، الجزائر، (2005م)، ص 40.
- 68- قدّم لنا الرحالة أبو سالم العياشي صورة عن الوضع الثقافي الذي ساد توات خلال نهاية القرن 11هـ/17م، وعلى الرغم من أن هناك صعوبة في تحديد بداية هذه المرحلة إلا أن العياشي يكون قد زار توات في حدود 1072هـ/1661م وبالتالي يمكن أن تكون بدايته (النصف الثاني من القرن 11هـ) تعكس الحالة

- العامة للقرن ككل، وهذا ممكن نظراً للظرف السياسي الذي كان سائدا يومها - للتوسع يراجع: - العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج1، ص79
- 69- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي"، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1998م)، ص132.
- 70- جعفري (أحمد أبا الصافي)، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (2008م)، ص83. للتوسع ينظر: - التميمي عبد الجليل، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، ع21، 22، أفريل، تونس، 1981م، ص19
- 71- أحمد جعفري، أبحاث في التراث، المرجع السابق، ص87.
- 72- إن المغاربة والتواتيين كانوا من أنشط التجار في السودان الغربي خصوصا تمبكتو فحسب الخاخام مورداخي كان بها 600 تاجر من توات، و60 إلى 50 من فاس يراجع: - أكميز عبد الواحد، الحضور المغاربي- الأوروبي في إفريقيا الغربية، المستقبل العربي، ع282، 2002م، ص136.
- 73- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص113.
- 74- عمل الفهرسة: يتضمن الحديث عن العلم والعلماء ومجالس الدرس وأسماء الكتب وذكر الأسانيد، ينظر: - فقيقي محمد الكبير، الحياة الاجتماعية والثقافة في مصر من خلال رحلات المغاربة أثناء القرنين (17.18م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بشار، 2008-2009، ص72.
- 75- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص32.
- 76- توجد نسخة منها بخزانة سليمان علي، أدغا، أدرار.
- 77- عبد الرحمان التتالي، الفهرسة، مخطوط خزانة سليمان علي، أدغا، أدرار.
- 78- يوجد المخطوط: بخزانة بن الوليد عبد القادر، با عبد الله، أدرار. وتوجد منه نسخة بخزانة الشاربي الطيب- كوسام- أدرار.
- 79- نفسه.
- 80- البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بالخزانة البكرية، تنطيط - بخزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة ص6. للتوسع ينظر: - الإدريسي مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبلي، كوسام ص29 - البكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، (د.ت)، ص25.

- 81- السعدي (عبد الرحمان بن عبد الله)، تاريخ السودان، ط2، نشر دار هوداس، باريس، (1964م)، ص6.
- 82- الفلاني (أبو عبد الله بن أحمد)، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي علي سليمان، أدغا، ص04.
- 83- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، فهرسة عبد الرحمن بن عمر التتيلاني التواقي، مخطوط بخزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار، ص83.
- 84- التتيلاني (محمد عبد القادر بن عمر)، الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار ص47.
- 85- التتيلاني (عبد الرحمان بن إدريس)، الرحلة إلى ثغر الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار.
- 86- نفسه، ص03.
- 87- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، رحلة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني إلى الحج، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، إدرار.
- 88- مثل: الرحلة الشوقية، وتحفة المختار إلى معالم أرض الحجاز ينظر سيد عبد الكريم بن محمد البكري، المصدر السابق، ص48.
- 89- التتيلاني (عمر بن عبد القادر)، المصدر السابق، ص72.
- 90- عبد الله (كروم)، المصدر السابق، ص125.
- 91- عبد الرحمان بن عمر، رحلته للحج، الورقة 01. ينظر: عبد العزيز سيد أعمار، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص81.
- 92- حسين (نصار)، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، (1991م)، ص127.
- 93- ابن مليح (محمد بن أحمد القيسي السراج)، أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الأمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042هـ / 1630-1633م) تح. محمد الفاسي، طبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس، ص92.
- 94- حيث نجد بن جبير يورد العديد من المقامات في مدح مشهد الحسين وغيره ونفس الكلام نجد عند محمد بن أحمد القيسي، ينظر: - محمد بن أحمد القيسي المصدر السابق، ص50، وأيضاً - أحمد بن جبير (أبو الحسين)، المصدر السابق، ص37.
- 95- محمد (بن أحمد القيسي)، المصدر السابق، صص (28-30، 133).

- 96- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، رحلة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني إلى الحج، مخطوط بخزانة أبا عبد الله- أدرار، ص 08.
- 97- القاهرة، وسوى من الناحية الايجابية أما وجلة من الناحية السلبية، نفسه ص.ص (13، 14، 15).
- 98- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، رحلة عبد الرحمان بن عمر التتيلاني إلى الحج، مخطوط بخزانة أبا عبد الله- أدرار، ص.ص (08-09).
- 99- نفسه، ص 07.
- 100- نفسه، ص 11.
- 101- نفسه، ص 07.
- 102- التتيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، فهرسة عبد الرحمن بن عمر التتيلاني التتوي، مخطوط بخزانة الطبيب الشاري، كوسام، أدرار، ص 77.
- 103- مؤلف مجهول، الرحلة الحجازية، مخطوط بخزانة أدغاغ، أدرار ص 01.
- 104- التتيلاني (محمد عبد القادر بن عمر)، الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسين والعلويين، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار ص 98.
- 105- التتيلاني (عبد الرحمان بن إدريس)، الرحلة إلى ثغر الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار ص 1.
- 106- عبد الرحمان (بن عمر التتيلاني)، الفهرسة، المصدر السابق، ص 77.
- 107- عبد الرحمان (بن عمر التتيلاني)، الرحلة، المصدر السابق، ص 01.
- 108- والأدلة على ذلك كثيرة، لكن الحيز المتاح للنشر لا يسمح بذلك.
- 109- عبد السلام أبو سعد، العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، ملتقى التواصل الثقافي، (1998م)، ص ص (17-18).